

المنهج الإسلامي في رعاية صحة المجتمع

محمد أحمد عمرو عسکر

قسم العلوم التربوية والنفسية كلية التربية جامعة طرابلس- ليبيا

DOI: <https://doi.org/10.56807/buj.v5i4.453>

الملخص

هدف البحث إلى التعرف على منهج الإسلام في تحقيق صحة المجتمع وكيفية المحافظة عليها، من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

1. كيف اعنى الإسلام بتكوين الأسرة السليمة صحياً والخالية من الأمراض؟

حيث تم تناول العناصر التالية: (الاغتراب في الزواج، سلامة الزوجين من الأمراض).

2. كيف اعنى الإسلام بصحة الجسم ووقايته من الأمراض؟

وفيه تناول البحث ما يأتي: (نظرة الإسلام إلى التداوي والأخذ بالأسباب، عناية الإسلام بالأجسام، الطب الوقائي).

3. كيف عالج الإسلام بعض قضايا التلوث البيئي؟

وتم تناول العناصر التالية: (تلوث المياه، تلوث الهواء، تلوث الأرض، التلوث الضوضائي).

الكلمات المفتاحية: المنهج الإسلامي، الصحة، المجتمع.

The Islamic approach to community health care

Abstract

The research aimed to identify the Islamic approach to achieving community health and how to maintain it, by answering the following questions:

(1) How Islam took care of forming a healthy family and free of diseases?

The following aspects were addressed: alienation in marriage, safety of spouses from diseases .

(2) How Islam took care of the body's health and protecting it from diseases?

The research addressed the following: Islam's view of medication and taking reasons into consideration, Islam's care of bodies, and preventive medicine.

(3) How did Islam treat some issues of environmental pollution?

The following aspects were addressed: water pollution, air pollution, earth pollution, and noise pollution.

Keywords: The Islamic Approach, Health, Society.

الأطباء، وثمن الدواء، والطعام الخاص ببعض الأمراض، وكرم الضيافة ومصاريف الانتقال في حالة علاج المريض بالمؤسسة الطبية، هذا من جانب، ومن جانب آخر قد يقل الدخل لانقطاع رب الأسرة المريض عن العمل، فتعاني الأسرة آثار الحرمان. (المليجي، 2002، 138).

وينعكس هذا التأثير بالتالي سلباً على المجتمع ككل مما يؤدي إلى تراكم المشكلات المختلفة بين أفراده، لذلك فقد حرص الإسلام على سلامة الفرد والأسرة والمجتمع صحيّاً، ووضع لذلك التشريعات والضوابط والمعايير التي ينبغي اتباعها في شئٍ تفاعلاً مع البيئة ابتداءً من تكوين الأسرة وحتى معالجة قضايا التلوث البيئي؛ حتى يتمتع أفراد المجتمع جميعهم بالصحة والعافية، فيزداد الانتاج ويعم الرخاء والرفاهية، واتساقاً مع ما سبق، وإسهاماً من الباحث في سؤال النص الحاصل في الكتب والمطبوعات والبحوث والدراسات حول موضوع هذا البحث، يأتي هذا البحث للتعرف على المنهج الإسلامي في تحقيق صحة المجتمع والمحافظة عليها من خلال الإجابة عن السؤال الرئيس التالي:

ما هي ملامح المنهج الإسلامي في تحقيق صحة المجتمع والمحافظة عليها؟

ويتقرّع عن هذا السؤال الأسئلة الفرعية التالية:
1- كيف اعنى الإسلام بتكوين الأسرة السليمة صحّياً والخالية من الأمراض؟
2- كيف اعنى الإسلام بصحة الجسم ووقايته من الأمراض؟
3- كيف عالج الإسلام بعض قضايا التلوث البيئي؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى التعرف على منهج الإسلام في تحقيق صحة المجتمع وكيفية المحافظة عليها.

أهمية البحث:

يعد هذا البحث تذكيراً بحكمة ديننا الإسلامي وصلاحيته لعلاج شئٍ القضايا التي تحدث للمجتمع، وفي كل زمان ومكان.

منهج البحث: المنهج الوصفي.

مصطلحات البحث:

المنهج الإسلامي:

يعرفه الباحث إجرائياً بأنه "كل ما ورد في الكتاب والسنة من أوامر وتوجيهات لتحقيق صحة المجتمع والمحافظة عليها، وما انبثق عن ذلك من أنظمة وأساليب تبنّاها المسلمون لتحقيق ذلك".

الصحة:

هي "النمو السليم للفرد بدنياً وعقلياً واجتماعياً وخلو جسمه من الأمراض". (أسعد، 2008، 9).

مقدمة:

لقد اعنى الإسلام بالحفظ على الصحة وبالتربيّة الغذائيّة والبدنيّة، واعتبرت الشريعة الإسلامية حفظ الذات وحفظ الصحة أمراً واجباً على الإنسان، وامتدح الإسلام المؤمن القوي في روحه وبدنه واعتبره خيراً وأفضل من المؤمن الضعيف، ونهى عن كل ما من شأنه أن يضر بالصحة، سواءً أكان النهي نهي تحريم أم نهي كراهة، وذلك على قدر الضرر المتوقع، كما دعا الإسلام - في سبيل الحفاظ على الصحة - إلى الاعتدال في كل شيء بما في ذلك الاعتدال في تناول الطعام، ودعا إلى التمسك بالعادات الصحيّة والغذائيّة السليمة، وإلى التداوي عند حدوث المرض، وإلى إعطاء البدن حقه من الغذاء والنوم والراحة ومن كل ما يحتاجه، وأقرَّ كثيراً من الحكم الصحيّة الصائبة مثل "العقل السليم في الجسم السليم" ، والوقاية خير من العلاج" وغيرهما، والمسلم الواعي لروح تعاليم دينه يدرك أن كل ما له نفع محقق بالصحة والبدن ولا يوجد في الشريعة نهي صريح عنه هو أمر مرغوب في الإسلام، والصحة الجسمية التي تعتبرها التربية الإسلامية هدفاً من أهدافها الأساسية تعني ضمن ما تعني خلو الجسم من الأمراض البدنية المعديّة وغير المعديّة، وسلامة أجهزة الجسم الداخلية المختلفة واتزانها وانتظامها في أداء وظائفها، ولياقة وقوّة عضلات الجسم ومرنة مفاصله، وسرعة الاستجابة الجسمية للمؤثرات والمثيرات الخارجية، والشعور بالنشاط والحيوية، والقدرة على المثابرة على العمل وعلى تحمل المشاق والمتاعب الجسمية وعلى مقاومة تقلبات الجو والمناخ، وأمتلاك الاتجاهات والعادات الصحيّة السليمة في العمل والنوم والغذاء والملابس والمسكن، والخلو من العادات الضارة صحّياً كعادة شرب الخمر والدخان وتعاطي المخدرات وما إلى ذلك.

(الشيباني، 1985، 324).

وانطلاقاً من أهمية الصحة البدنية لأفراد المجتمع، ولاهتمام الإسلام بذلك، يأتي هذا البحث للتعرف على المنهج الإسلامي في تحقيق صحة المجتمع والمحافظة عليها.

مشكلة البحث:

عندما يتعرض أحد أفراد الأسرة للمرض، تتعكس حالته على كل عضو في جماعة الأسرة، فيضطرّب نظام الحياة اليومية في المنزل، ويتحمل الأعضاء الأصحاء أعباء ومسؤوليات إضافية، وبينما يسبّ المرض القصير مشكلات قليلة نسبياً، فإن المرض المزمن يؤدي إلى أضرار بالغة، وفي حالة الأمراض المعديّة، والتي يعالج فيها المريض في منزله ينبغي أن يتّخذ الأعضاء الأصحاء احتياطات وقائية، حتى لا تنتقل العدوى إليهم، مما يزيد من الأعباء والقلق لدى باقي أفراد الأسرة الأصحاء، أضف إلى ذلك زيادة الأعباء الاقتصادية التي تتحمّلها الأسرة نتيجة إنفاقها على أجر

الله تعالى: «والوالداث يُرضعُنَ أولاً هُنَ حَوْلَينَ كَامِلَينَ لَمْ أرَادَ أَنْ يُتَمَ الرَّضَاعَة». (البقرة، من الآية 231). ولقد أكدت الدراسات الطبية الحديثة بعد طول بحث وتجريب أهمية الرضاعة الطبيعية لصحة الطفل ونموه، وتحصينه ضد الأمراض، حيث إن حليب الأم يلائم معدة الرضيع وقابلية الهضم فيها، فهو قد خلق لتغذية الرضيع وحسب حاجاته ومتطلباته الغذائية، كما أن هناك فوائد عديدة تعود على الأم المرضع كذلك؛ إذ أثبتت الدراسات الحديثة أن الأمهات المرضعات أقل تعرضا للإصابة بسرطان الثدي، ويفوكد تقرير منظمة الأمم المتحدة للطفولة اليونيسيف على الحقائق سالفه الذكر إذ جاء فيه "إن تشجيع الرضاعة الطبيعية في العالم الثالث من شأنه أن ينقذ حياة ما يقرب من 1.5 مليون رضيع سنويا". (أبوقندش، 2005، 87).

2- الختان:

شرع الإسلام الختان وجعله من سنن الفطرة، وقد دعد الفقهاء ومعهم الأطباء فوائد كثيرة لاختتان الرجل، منها ما هو شرعي، كإتباع فطرة الله، والامتثال لأوامره، وتميز المسلم عن الملل الأخرى، ومنها ما هو صحي، كالنظافة وتعديل الشهوة، والتخلص من المفرزات الدهنية، وتتجنب الإصابة ببعض الأمراض. (أحمد، 1992، 68).

الإجابة عن السؤال الثاني: كيف اعنى الإسلام بصحة الجسم ووقايته من الأمراض؟

أولاً: نظرة الإسلام إلى التداوي والأخذ بالأسباب:

اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون لكل شيء سبب بالأمراض التي تصيب الإنسان لابد لها من أسباب، فإذا أردنا التخلص من هذا المرض كان لابد من معرفة سببه وإزالة هذا السبب، وبذلك يزول المرض ويعود الإنسان سليماً معافى لانتظام الترابط بين الأسباب والسببيات، حيث ربط رسول الله بين المرض والعلاج أنه لا يوجد مرض إلا له علاج ولا يوجد داء إلا له دواء، فقال صلى الله عليه وسلم "لكل داء دواء فإذا أصيَّبَ دواءُ الداءَ بِرَأْيِ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ". (النيسابوري، 2010، 779).

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء". (البخاري، 2001، 1059).

ويعني ذلك أن الله تعالى حين قدر الداء قادر له الدواء، وأن المريض إذا أخذ الدواء متبعاً شرائطتناول الدواء فإنه يبرأ بإذن الله تعالى، وأن عدم وصول الأطباء إلى معرفة بعض الأدوية لبعض الأمراض المستعصية لا يعني أنه لا علاج لها على الإطلاق، لكن قدرات الأطباء والعلماء المختصين لم تتوصل إلى كشف الدواء المناسب لها. (أبوبيه، 2001، 156).

المجتمع:

" إطار عام يحدد العلاقات التي تنشأ بين جموع من الأفراد يستقرن في بيئه معينة تنشأ بينهم مجموعة من الأهداف والرغبات والمنافع المشتركة المتباينة، وتحكمهم مجموعة من القواعد والأساليب المنظمة لسلوكهم وتقاعلاتهم". (سعادة، 2004، 103)

الإجابة عن أسئلة البحث:

الإجابة عن السؤال الأول: كيف اعنى الإسلام بتكوين الأسرة السليمة صحيًا والخالية من الأمراض؟
لقد اعنى الإسلام بتكوين الأسرة السليمة الخالية من الأمراض أيمًا عناية، ووضع لذلك العديد من الضوابط نذكر منها:

أولاً: الاغتراب في الزواج:

من توجيهات الإسلام تقضيل المرأة الأجنبية عن الرجل على النساء اللاتي من نسبة أو أقاربها؛ حرصاً على نجابة الولد وضماناً لسلامة جسمه من الأمراض الساربة أو العاهات الوراثية، وهذا ما أثبته علم الوراثة فيما بعد أن الزواج بالأقارب يجعل النسل ضعيفاً من ناحية الجسم والذكاء. (أحمد، 1992، 46).

وينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم قوله " لا تنكحوا القرابة القريبة؛ فإن الولد يُطلق ضاويأً ". أي نحيفاً. (ابن الملقن، 1411، ج 7، 499)، وقال الإمام الشافعى: (أيما أهل بيته لم تخرج نساوهم إلى رجال غيرهم كان في أولادهم حُقُّ). (العسقلاني، 1995، 1995، ج 3، 304).

وبقى التعرّف والاغتراب في الزواج من الأمور التي تؤدي إلى سلامة النسل والنشء فهي من قبيل الطب الوقائي في الإسلام. (ماردينى، 2007، 115).

ثانياً: سلامه الزوجين من الأمراض:

روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (تَحِيزُوا لِلطُّفُكُمْ وَالْكُحُوا الْأَكْفَاءِ وَالْكُحُوا إِلَيْهِمْ)، فالحديث يطلق بحيث تدرج تحته سلام الزوجين من الأمراض المعديّة الوراثية. (ابن ماجة، 2009، ج 3، 115).

ثالثاً: تربية الأطفال:

اهتم المنهج الإسلامي في تربية الأطفال لتحقيق الرعاية الصحية لهم بالعديد من الحقوق التي ينبغي تأمينها للطفل، لعل أهمها ما يأتي:

1- حق الرضاع:

لم تحفل شريعة من الشرائع الإلهية كانت أو وضعية بمثل ما حفلت به الشريعة الإسلامية بشأن حق الرضاع للطفل، ويتجلّ ذلك في الإقرار بهذا الحق صراحة في نصٍّ قرآنٍ كريم، وفي تحديد المدة التي يستحقها الطفل في الرضاع قال

هذه الرخص على سبيل المثال لا الحصر التيم لفائد الماء أو فاقد القدرة على استعماله، والفتر في رمضان للمسافر والمريض.

4- عنابة الإسلام بالجسم عن طريق جعل التكاليف قدر الطاقة:

من رحمة الله سبحانه وتعالى بالإنسان أنه حين كلفه بالعبادات أو بأي أمر من أمور الدين والدنيا لم يكلفه فوق طاقته، ولم يفرض عليه شيئاً لا يستطيع القيام به، ولم ينهه عن أمر لا يستطيع الانتهاء عنه، قال تعالى {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}. (البقرة، من الآية 258).

ومن رحمة الله تعالى بعباده جعله العبادات ميسرة لا إرهاق فيها ولا ضرر يلحق بصحة الإنسان المسلم وبذنه. (أبو يحيى، 2001، 158).

5- عنابة الإسلام بالجسم عن طريق توجيهه لتناول بعض الأغذية المفيدة:

لقد ورد في الكتاب والسنة عديد التوجيهات إلى تناول العديد من الأغذية المفيدة للجسم ذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

أ- العسل: ثبت علمياً أن بالعسل مواداً تقتل الجراثيم التي تسبب النزلات المعوية والإسهال. (ابراهيم، 2002، 50)، وتؤكدنا لما ورد في القرآن الكريم عن القيمة العلاجية والغذائية لعسل النحل الذي وصفه ربنا عز وجل بأنه (فيه شفاء للناس). (النحل، من الآية 69). ويؤكد الرسول صلى الله عليه وسلم على الاستشفاء بعسل النحل فعن أبي سعيد قال: " جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن أخي استطloc بطنه، فقال: اسقه عسلاً، فسقاه ثم جاء فقال: يا رسول الله سقيئه عسلاً فلم يزده إلا استطلاقاً، قال ف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم له اسقه عسلاً، قال: فسقاه، ثم جاء فقال: يا رسول الله إني قد سقيئه فلم يزده إلا استطلاقاً، قال: ف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صدق الله وكم بطن أخيك. اسقه عسلاً، فسقاه ثم جاء فقال: يا رسول الله فلما قرأه عسلاً فلما قرأه". (الترمذى، ج 4، 1975، 409).

ب- التمر: غذاء غني بالفيتامينات والمعادن، ويعطي الكيلوجرام منه القيمة الغذائية والحرارية نفسها التي يعطيها كيلوجرام من اللحم. (ماردينى، 2007، 606)، وورد ذكره في قوله تعالى (وَهُرَيْ إِلَيْكَ بِجُدٍ النَّخْلَةَ تَسَاقُطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا). (سورة مریم، الآية 24).

وللتمر فوائد كثيرة منها أنه ترiac ضد السموم يقول النبي صلى الله عليه وسلم " من تصبح سبع ثمراتٍ عجوة، لم يضره ذلك اليوم سُمٌ ولا سحرٌ" (البخاري، 2001، 1072).

جـ- الحبة السوداء: ذكر الأطباء العرب القدماء الحبة السوداء وفوائدها الصحية في علاج الكثير من الأمراض، ويؤكد النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فيقول "في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام". (البخاري، 2001، 1060)، ويأتي

ثانياً: عنابة الإسلام بالجسم:
عن الإسلام عنابة كبيرة بالجسم، وتمثل هذه العنابة في جوانب متعددة، ذكر منها ما يأتي:

1- النظافة:

شرع الإسلام النظافة ودعا إليها في موافق كثيرة منها: الوضوء، والغسل، وغسل اليدين قبل الطعام وبعده، وبعد الاستيقاظ من النوم لأن الإنسان لا يعلم أين باتت يده أو أين أصبحت، ونظافة الفم والأسنان، وذلك باستعمال السواك في موافق متعددة، كما حث الإسلام على نظافة الرأس وتكريمه والعنابة به، بغسله وتسريره، وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم التاركين شعورهم دون عنابة أو رعاية بالشياطين في هيئتهم، كما حث الإسلام على ليس الثياب النظيفة والاهتمام بزيينة المسلم، ولا شك أن الثياب النظيفة لها فوائد عديدة منها حفظ الصحة وكرامة من يتجمل بها في نفوس الناس، وإظهار نعم الله تعالى على لباسها. (أبو يحيى، 2001، 158).

ويتجلى ذلك من خلال العديد من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة كقوله تعالى { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُوَافِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}. (البقرة، من الآية 220)، وقول النبي صلى الله عليه وسلم " الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ". (النيسابوري، 2010، 93).

وقوله صلى الله عليه وسلم " السِّوَاكُ مَطْهَرٌ لِّفِيمْ مَرْضَاهُ لِلرَّبِّ". (البخاري، 2001 ، 350).
وقوله صلى الله عليه وسلم " حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلْ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا يَغْتَسِلُ فِي رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ". (البخاري، 2001، 169).

2- الرياضة:

عن الإمام بالرياضة لأنها تعطي الجسم قوة وحيوية وال المسلم مطلوب منه أن يكون قوياً في بذنه، حتى يقوم بحق الله عليه في الصلاة والصيام والحج والجهاد في سبيل الله، وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرمي والسباحة وركوب الخيل والجري ونحو ذلك من أنواع الرياضة التي تمثل القوة في ذلك الزمان وما تزال. (أبو يحيى، 2001، 158). وقد وردت العديد من الآثار النبوية التي تؤكد على أهمية الرياضة البدنية كقوله صلى الله عليه وسلم " ارموا ببني إسماعيل فإن أباكم كان راماً". (البخاري، 2001، 533).

3- عنابة الإسلام بالجسم عن طريق الرخص:

الرخصة في اللغة خلاف التشديد. (الرازي، 1976، 238). وأما في اصطلاح الأصوليين فهي الأحكام التي شرعها الله تعالى بناء على أذن العباد ورعايتها ل حاجتهم. (شعبان، 1979، 244).

إن الإتيان بالرخص وإن كان أمراً تعدياً إلا أن فيه حكمة أخرى وهي المحافظة على صحة المسلم، وإبعاده عن الأمراض وتشمل الرخص المرأة والرجل على السواء، ومن

يساعد على سرعة تكاثر الجراثيم ويعلم على سرعة عمليات التعفن، فتقرز الجراثيم سومها في لحم الميتة، وسرعان ما يصير جسم الحيوان الميت وكأنه مزرعة للجراثيم الضارة وسوموها القاتلة، فلو أكل الإنسان من لحم الميتة فكأنه تناول سومتها. (ابراهيم، 2002، 13).

كما حرم الله تعالى أكل لحم الخنزير، وقد أظهرت البحوث الحديثة أن تناول لحم الخنزير عسر الهضم جداً، لأن لحمه مكون من ألياف عضلية طويلة يجمعها نسيج ضام كثير الدهون، وكلما طالت الألياف العضلية كلما كان هضمها عسراً، وكلما كثرت الدهون كلما كان هضمها عسراً، وأن الطفيلييات التي تصيب الإنسان بالأمراض تجد لها في جسد الخنزير مرتعاً خصياً، وعادات الخنزير القدرة في تناول الطعام جعل الكثير من الطفيلييات تسكن فيه، ويشتراك الخنزير مع بعض الحيوانات الأخرى في نقل الأمراض الطفيلية والبكتيرية للإنسان، إلا أن الخنزير ينفرد بنقل بعض الأمراض الخطيرة للإنسان ولا ينقلها للإنسان غيره مثل: مرض الديدان الشعيرية الحلزونية *Trichinella Spiralis*، ومرض الدودة الشريطية الخنزيرية *Taenia Solium*. (ابراهيم، 2002، 19).

2- النهي عن الإسراف في تناول الأطعمة والأشربة الحال وقاية للمسلم، وطلب بالاعتدال والوسطية لأن المعدة في الإنسان هي بيت الداء، قال تعالى (وَكُلُوا وَاشْرِبُوا وَلَا شُرُّفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ). (الأعراف، من الآية 29). كما قال صلى الله عليه وسلم "ما ملأ آدميّ وعاءً شرّاً من بطنه، بحسب ابن آدم أكلاً لاتُبْقِمَنَ صُلْبَهُ، فإن كان لامحاله قُتِلَّ لطعامه وُتُلِّتْ لشرابه وُتُلِّتْ ل NFCِهِ". (الترمذى، ج 4، 1975، 590).

3- كيفية التعامل مع إفرازات الجسم: هذه الإفرازات التي يفرزها جسم الإنسان إذا لم تراع فيها نظم الإسلام كانت وبالا على الجسم وعلى المجتمع من حوله، وتجلب له ولبيته الأمراض المختلفة التي قد تفتك الناس ومن هذه الإفرازات ما يأتي:

أ- البول والبراز:

وهما من المستقرات التي يفرزها جسم الإنسان وفيهما من الطفيلييات وسببات المرض الشيء الكثير، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتنظف من البول والغائط بالماء، أو الحجارة، أو ما يقوم مقامهما، ونهى عن البول والبراز في الماء الراكد والجاري، أو في طريق الناس أو في مكان يستظلون به، لأن رائحتهما تؤدي الناس فضلاً عما يسببه البول والبراز لهم من أمراض ناشئة عن الجراثيم الموجودة فيهما.

عن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت هذه الآية في أهل قباء (فِيهِ رَجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ).

الطب الحديث ليؤكد على ذلك فيبين أن الحبة السوداء تعمل على رفع مناعة الجسم. (ماردينى، 2007، 613).

د- زيت الزيتون: الزيتون من الأشجار المباركة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في أكثر من موضع، فتارة أقسم الله بها كما في سورة التين، وتارة أخرى أشار إلى صفاء زيتها، وتارة أخرى ذكرها في معرض الفضل والمنة على عباده بإبناتها وإنمارها لهم مع جملة منأشجار الفاكهة والشمار والغذاء، وقد أثبت العلم الحديث الفوائد الكثيرة لزيت الزيتون. (ماردينى، 2007، 617)، وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بالزيتون خيراً فقال "كُلُوا الزَّيْتَ وَادْهُنُوا بِهِ، فَإِنَّهُ مِنْ سَجَرَةِ مُبَارَكَةٍ". (الترمذى، ج 4، 1975، 285).

هـ- الكمون (السنوت): قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "عليكم بالسنوت والسنوت فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام". (ابن ماجة، ج 4، 2009، 511).، وكشف الطب الحديث مؤخراً، أن الكمون أو السنوت له فوائد عديدة منها: مضاد للتشنج، وعلاج المغص الكلوي، وعسر الطمث، وملين وطارد للغازات. (ماردينى، 2007، 620).

وـ- الحلبة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لو تعلم أمتى ما في الحلبة لاستروها ولو بوزنها ذهباً". (الطبراني، ج 20، 1983، 96).

والعلم الحديث في اكتشافاته الطبية الحديثة يؤكّد فائدة الحلبة لجسم الإنسان. (ماردينى، 2007، 621).

زـ- الزبيب: يحفظ الزبيب بأكثر خواص العنبر الطازج خاصة الفيتامينات والمعادن، ويمد الجسم بفوائد تزيد مقاومته ومناعته ضد كثير من الأمراض، وبه مقدار عالٍ من البوتاسيوم والكلاسيوم وسكر العنبر، ويعيد منشطاً لوظائف الكبد، وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كُلُوا بِسْمِ اللَّهِ نَعْمَلُ الطَّعَمَ الرَّبِيبَ، يَشُدُّ الْعَصَبَ، وَيُذَهِّبُ الْوَصَبَ، وَيَطْفُئُ الْغَضْبَ، وَيَطْبِئُ التَّكَهَّةَ، وَيُذَهِّبُ الْبَلْغَمَ، وَيَصْفِيُ الْلَّوْنَ". (الأصبهانى، ج 2، 2006، 719).

ثالثاً: الطب الوقائي:

إن الإسلام حين وضع أسس الطب الوقائي صبغ ذلك بصبغة دينية حتى يتمسك المسلم بها تماسكاً قوياً ويعمل بها لأنها صادرة عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم، ومن هذه الأسس ما يأتي:

1- تحريم الله مجموعة من الأطعمة والأشربة لأن فيها أضراراً جسدية ونفسية واعتقادية على الإنسان المسلم، وقد أكد الطب الحديث على أضرار هذه المحرمات على صحة الأجسام قال تعالى: (خُرِّبَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيَّتُهُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنْزِيرُ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَهُ وَالْمَوْقُوذَهُ وَالْمُتَرْدِيهُ وَالْأَطْيَاهُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا دَكَّيْتُمْ). (المائدة، من الآية 4).

لقد أكد العلم الحديث أن أكل الميتة يؤدي إلى أخطار كثيرة بصحة الإنسان، فوجود الدم الذي لم يُصفَّ من الجسم بالذبح

ونجد قواعد الحجر الصحي التي وضعها الإسلام في جملة أحاديث شريفة من جملتها الحديث عن كيفية مواجهة هذا الوباء، فقد جاء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى الشام، فلما جاء سرُّعَ، بلغه أن الوباء قد وقع بالشام، فأخْبَرَهُ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا سمعتم به بارض فلا تقدموه عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوه فراراً منه، فرجع عمر من سرُّعَ. (النيسابوري، 2010، 785).

6- كما حث الرسول صلى الله عليه وسلم على استعمال العديد من الأشياء التي تقى من الأمراض كحثه على الكحل بالإثم، فعن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "البسوا من ثيابكم البياض فلنها من خير ثيابكم، وكفوا فيها مؤتكم، وإن خير أكحالكم الإثم، يجلو البصر، ويُبَشِّرُ الشَّعْرَ". (ابن حذيل، ج 4، 2001، 94).

الإجابة عن السؤال الثالث: كيف عالج الإسلام بعض قضايا التلوث البيئي؟

من الأنظمة البدعية التي اتبعها المسلمون نظام الحسبة، الذي بدأ منذ عهد النبوة وفي عصر الخلفاء الراشدين، ولا سيما في عهد سيدنا عمر بن الخطاب، ثم نما واتسع في العصور التالية خصوصاً في عهد العباسين، وهو نظام يجمع بين الإرشاد والرقابة والقضاء والتغفيف، وقد وزعت اختصاصاته في عصرنا على عدة دوائر أو وزارات أو مؤسسات، ومن الكتب التي صدرت في هذا الأمر كتاب (نهائية الرتبة في طلب الحسبة) للإمام عبد الرحمن بن نصر الشيرازي المتوفى سنة (589)، ومما ذكره هذا الكتاب في شأن المراقبة على الخازين ما ملخصه: ضرورة رفع أسفاق الحوانيت وأن يصم فيها منافذ لتسريب الدخان حتى لا يتضرر الناس، وأن يقوم الخباز بمسح الفرن بخرقة نظيفة قبل وضع العجين فيه، وأن تنظف أوعية العجين جيداً بالماء، وألا يعجن العجَان برجليه الدقيق لأن في ذلك مهانة للطعام، وأن يضع العجان على فمه كمامه حتى لا يعطس في العجين، وأن يشد على جبينه عصابة حتى لا يسقط عرقه أثناء العجين، وأن يُخصص له شخص بمنشأة حتى يطرد عنه الدبَاب إذا كان يعجن بالنهار. (المفتاح، 2009).

ويتفق المحتسب الطباخين عند الغدو والعشي، فاما في الغدو فيقف على اللحم لثلا يكون لحمار دينا، وأما العشي فلثلا تبقى لهم بقية فيفردوا عليها غيرها، ويخلطونها ثم يعيدون طبخها فتنتن رائحته ويفسد طعمه، ويؤمنون بتتنظيف الرحاب، وتغطية القدور وطرد النباب عنها، وغسل الأواني بالماء الساخن، وأن لا يخلطوا لحوم الماعز بلحوم الضأن ولا لحوم الإبل بلحوم الأبقار لثلا يأكلها من به مرض فيكون سبباً

(التوبة، من الآية 9)، فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلوا: إننا نتبع الحجارة الماء. (المبيشي، ج 1، 1992، 262).

بـ- دم الحيض:

كان من عادة اليهود أنهم لا يؤكلون الحائض والنفسياء ولا يلمسونها ولا يتحدون معها؛ لأنها في نظرهم نجسة يجب مقاطعتها، ولما جاء الإسلام وسأل الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم عن حكم التعامل مع الحائض والنفسياء، أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يفعلوا كل شيء مع نسائهم إلا الجماع، ومن يأتي أمراته زمان الحيض أو النفاس يكون عاصياً لله تعالى، ومتعدياً لحدوده، وقد أثبتت الطب الحديث الأضرار الجسمية والنفسية التي تلحق بالرجل والمرأة على سواء في الجماع وقت الحيض أو النفاس قال تعالى (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذِى فَاعْتَزَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ). (البقرة، من الآية 220).

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما يحل لي من أمرأتي وهي حائض؟" قال: "لَكَ مَا فَوْقَ الإِزارِ". (ابن الأشعري، 2010، 39).
وقال صلى الله عليه وسلم: "اصنعوا كُلَّ شيء إِلَّا النِّكَاحَ". (النيسابوري، 2010، 112).

4- أكد المنهج الإسلامي على أهمية الحجامة ل الوقاية والعلاج من بعض الأمراض، وهي وإن كانت ظاهرة طبية وعلاجية قديمة العهد عند الفراعنة والإغريق القدماء، إلا أنها لم تلق الاهتمام الكبير عند العرب ولم تزدهر عندهم إلا في ظل الإسلام، فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم وأعطاهما الطابع المتميز من جميع المظاهر والظواهر العلاجية والطبية، كيف لا، وقد جعلها من قبيل الطب الملائكي بقوله "مَا مَرَرْتُ لَيْلَةً أَسْرِي بِي بِمَلَأٍ إِلَّا قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ مُرْ أَمْتَكَ بِالْحِجَامَةِ". (ابن ماجة، ج 6، 2009، 2773).

والأحاديث الصحيحة التي جاءت في الحجامة كثيرة جداً كلها تؤكد على أهمية الحجامة في الوقاية والعلاج من كثير من الأمراض، ومن هنا كانت شهرة الحجامة من وهي وهدي المصطفى صلى الله عليه وسلم، وتاريخ ارتقاءها وازدهارها نشاً وذاع صيتها منذ بعثته عليه الصلاة والسلام إلى يومنا هذا.

5- كيفية التعامل مع بعض الأمراض المعدية: لقد عالج الإسلام هذه القضية ووضع ما يسمى في العصر الحديث بالحجر الصحي حيث قرر أن المرض المعدى إذا ظهر في

منطقة من المناطق يلزم القيام بأمرتين: منع الخروج من المنطقة الموبوءة إلى منطقة أخرى حتى لا تنتقل العدوى من هذه المنطقة إلى المناطق الأخرى فينتشر المرض ويعم كثيراً من الناس.

منع دخول الناس إلى المنطقة الموبوءة حتى لا تنتقل العدوى إلى الناس خارجها. (أبو يحيى، 158، 2001).

خالية من الميكروبات والطفيليات التي تنتقل عن طريق الفم، أو التي تسبب أمراض العيون وخلافه.

3- النهي عن التنفس في إناء الشرب وعن النفح فيه، لمنع تغيير رائحة الإناء، ووصول لعب الإنسان ورذاذ فمه، وما يمكن أن يحمل من جراثيم ممرضة حتى لو كان حاملها صحيحاً غير مريض، فإذا كان الشارب شديد العطش لا يرتوي بتنفس واحد، فيليبعد الإناء عن فمه ليتنفس ثم ليعد للشرب، وذلك مفضل من الناحية الصحية، قال صلى الله عليه وسلم "إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء، فإذا أرد أن يعود فلينتح الإناء ثم ليُبعِدَ إن كان يُرِيدُ". (ابن ماجة، ج 2، 2009، 1113). وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتَّفَسَ في الإناء أو يُنْفَخَ فيه". (ابن الأشعث، 2010، 626).

ومن المفيد صحياً أن يعتاد الإنسان الشرب على ثلاث دفعات، يتنفس في نهاية كل دفعة كما هي السنة النبوية، وذلك حفظاً للماء وأبعد عن التنفس فيه، وأسهل انسياغاً فلا يشرق، وأكثر ريا للشارب فيأخذ الماء مع تقطيع الشرب أقل مما لو تجرعه دفعة واحدة، وذلك أسلم من مرض أو أذى يحصل بسبب الشرب في نفس واحد، لأن الشارب إذا اعتاد الشرب بنفس واحد وأسرف في تناول الماء أدى به إلى أمراض منها توسيع المعدة وإلى اضطرابات الهضم، كما أن تجرع الماء المتعرّق للماء البارد دون تقطيع يؤدي أحياناً إلى التهابات في الحنجرة والقصبات الهوائية. (الخطيب، 2002، 44).

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشرب من السقاء والقربة ومنع التنفس في الإناء فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشرب من فم القربة أو السقاء". (البخاري، 2010، 1050).

4- الأمر بتغطية الإناء وربط سقاء الماء حتى لا يصل إليه الغبار ولا الحشرات المؤذنة، والحاملة للجراثيم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أطقووا المصابيح إذا رقدتم، وغلقوا الأبواب وأوكوا الأسقية وحمرروا الطعام والشارب ولو بعود تعرضاً عليه". (البخاري، 2010، 1049).

5- النهي عن الاغتسال في الماء الراكد الذي لا يجري، حتى لا يتلوث بما يكون على سطح الجسم من أوساخ وجراثيم ومفرزات والتي يمكن إن تنقل الأمراض إلى الإنسان، فعن بكير بن الأشج، أن أبي السائب مولى هشام بن زهرة، حدثه، أنه سمع أبي هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا يغتسل أحدكم في الماء الدائم، وهو جنباً، فقال كيف يفعل يا أبا هريرة؟ قال يتناوله تناولاً". (النيسابوري، 2010، 108).

لنكسته، ومن أجل المحافظة على صحة المجتمع فإن على المحتب أن يلاحظ الحيوانات المهيأة للذبح، فإذا وقع عند أحدهم بهيمة مريضة أو متغيرة اللون منعه من بيعها، ويأمر كل واحد منهم إذا فرغ من بيع اللحم أن يأخذ ملحاً مسحوقاً وينشره على القرمة التي يقطع عليها اللحم لثلا يُدرَد في زمن الحر، أما السمك فعلى المحبت أن يتخذ لباعي السمك مكاناً يكون فيه سوقهم بمعزل عن الطريق تقadiراً لرائحته، ويلزمون بتنظيف الساحة وينمدون عن تملح البائت منها لتولد العفونة فيه، ولا يقلوه بزيت رديء، ويؤمنرون بغسل مقابلهم ومسحها وتنظيفها، ورمي السمك الفاسد على المزابل خارج البلد، ويعاقب كل من فعل فيهم غير ما حدد له، أما الحسبة على اللبنانيين فيلزموا كل يوم بغسل الأوانى بمسواك الليف الجديد والماء النظيف، لثلا يسارع إليه الفساد في زمن الحر، وتغطية الأواني بأغطية جيدة حرصاً على منع الذباب فإنه يكثر حول اللبن، أما الحسبة على الشرايين فيلزمهم المحبت أن يكون تحت أيديهم ماء لطيف، ويكون معهم المذبة لثلا يُعد على الكوز أو على الوعاء الذباب، وكذلك الكيزان إذا عقت وتغيرت رائحتها يأمرهم أن لا يرجعوا يستعملونها، ويعيروا قصديرها في كل ثلاثة أشهر. (السامرائي، 2005، 252).

وقد عالج الإسلام قضايا التلوث البيئي الرئيسة المتمثلة في تلوث المياه، وتلوث الهواء، وتلوث الأرض، والتلوث الضوضائي كما يلي:

أولاً: تلوث المياه:

يعرف التلوث في المياه بأنه "زيادة الخواص الكيميائية أو الفيزيائية أو البيولوجية بتركيز أو بصفة تجعل من الماء ضاراً بالإنسان، أو الأحياء المائية أو بالمتلكات". (السعدي، 2008، 394).

في المنهج الإسلامي وصايا وضوابط تحفظ المياه من التلوث ذكر منها ما يأتي:

1- النهي عن إدخال المستيقظ من النوم يده في الإناء قبل أن يغسلها أو يطهرها، فلعله مس أو حك سوأته أو عضواً مريضاً متقرحاً من جسمه وهو نائم، وبذلك يلوث الإناء وقد روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يُعْمِسْ يَدَهُ في الإناء حتى يغسلها ثلثاً، فإنه لا يدرى أين باتت يَدُهُ". (النيسابوري، 2010، 106).

2- عدم استعمال اليد اليمنى في مجالات الأقدار والتلوث، عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت "كانت يُدْ رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمنى لطهوره وطعامه، وكانت اليسرى لخلائِه وما كان من أذى". (ابن الأشعث، 2010، 12).

خصص الشارع الحكيم اليد اليمنى للشارب والطعام والمصافحة أو أمراً يستدعى تناول القرآن الكريم والأشياء المحترمة، فتبقى اليد اليمنى في قمة النظافة صالحة لطعامه

الشريعة الإسلامية وهي حفظ الدين والنفس والعقل والمال والنسل.

وقد وقف فقهاء المسلمين القدمى من موضوع تلوث الهواء موقفاً طيباً يدل على وعي كبير بأهمية المحافظة على الهواء من الملوثات المختلفة التي تؤثر في صحة الإنسان، وتتسبب في هلاك الزرع والنسل.

وسوف نكتفي هنا بعرض موقف الفقهاء من قضية تلوث الهواء بالأدخنة والروائح للتدليل على وعيهم البيئي.

1- موقف الفقهاء من التلوث بالدخان:

اعتبر فقهاء المسلمين الدخان بكل أنواعه مضرأ، فقد جاء في وصفه في القرآن الكريم بأنه (عذاب أليم)، وذلك في قول الحق عز وجل: (فَارْتَقِبْ يَوْمَ ثَأْتِي السَّمَاءُ بِذُخَانٍ مُّبِينٍ * يَعْنَى النَّاسُ هَذَا عَذَابُ أَلِيمٍ). (الدخان، 9-10).

ويخضع الحكم على مدى الضرر الناتج من التلوث بالدخان إلى مصدره، والفقهاء من أتباع الإمام مالك يصنفون الضرر إلى صنفين: ضرر قائم، وضرر مستجد.

أما الضرر القائم فينقسم إلى:

أ- أضرار ناتجة من أنشطة استقرت في منطقة ما قبل غيرها من الإشغالات، ويجمع الفقهاء على إبقاء مصادر هذه الأضرار لأحقيتها على غيرها، لأنها ضرر دخل عليه".

ب- أضرار ناتجة من أنشطة بدأت في منطقة سكنية، أي بعد استقرار الجيرة المحيطة بها، ومضى عليها وقت طويل قبل أن يشكو منها سكان المنطقة.

وتحكم هذه الحالة قاعدتان:

الأولى: وقف الأنشطة المسببة للتلوث إذا كان ما ينتج عنها يؤدي إلى حدوث إتلاف وضرر شديد.

ومن أمثلة الأدخنة التي ذكرها الفقهاء في هذا المقام: دخان نار الحمامات والأفران.

الثانية: الإبقاء على الأنشطة المسببة للتلوث إن كان الضرر الناتج عنها ضئيلاً، ويمكن التكيف معه، مثل دخان المخابز والدخان الناتج عن مطابخ البيوت.

وتوضح الأمثلة التالية هذه الأحكام:

1- سئل ابن القاسم عن أحقيـة جـيرـان أحد الأـفـراد، أـرادـ أنـ يـبنيـ حـمـاماًـ وـفـرـناـ وـطـاحـونـاـ فـوـقـ أـرـضـ فـسـاءـ، أـنـ يـمـنـعـواـ إـقـامـتهاـ، فأـفـادـ بـحـقـهـمـ فـيـ ذـلـكـ، أـيـ فـيـ مـعـهـ، مـاـ دـامـ سـيـسـبـ لـهـمـ هـذـاـ الـعـلـمـ ضـرـراـ بـلـيـغاـ، طـبـقاـ لـأـحـکـامـ إـلـمـ إـمـامـ مـالـكـ الـذـيـ أـوـصـيـ بـمـنـعـ الـأـذـىـ عـنـ الـجـيـرانـ.

2- سئل ابن القاسم أيضاً عن حـدـادـ أـرـادـ أنـ يـبنيـ كـورـاـ وـفـرـناـ لـصـهـرـ الـذـهـبـ وـالـفـضـةـ، أـوـ يـحـفـرـ بـئـراـ أـوـ مـرـاحـضاـ، أـوـ يـبنيـ طـاحـونـاـ قـرـبـ حـائـطـ الـجـيـرانـ فـاقـتـيـ أـنـ مـنـ حـقـ الـجـيـرانـ مـنـعـ لـمـ يـسـبـهـ لـهـمـ مـنـ ضـرـرـ.

3- ذهب ابن القاسم إلى أن الأدخنة المنبعثة من المخابز تعتبر ضرراً بسيطاً يمكن التكيف معه.

6- النهي عن التبول في الماء:

جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يبولنَّ أحدُكُمْ في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغسلُ فيه ". (البخاري، 2010، 60). إن تلوث الماء ببول الإنسان، قد يكون واسطة للعدوى بداء البليهارسيا وبأمراض الجراثيم المطروحة مع البول، وغيرها من الأمراض الطفيلية، كما أثبت الطب الحديث.

7- النهي عن التبرز في الماء:

قال صلى الله عليه وسلم: " اثْقُوا الْمَلَائِكَةَ عَنِ التَّلَاثَ: الْبَرَازِ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارَعَةَ الْطَّرِيقِ، وَالظَّلِّ ". (ابن الأشعـر، 2010، 11).

إن تلوث الماء ببراز الإنسان يكون واسطة للعدوى ببعض الأمراض عن طريق شربه، أو تناول ما تلوث به، أو عن طريق الانغماس فيه، أو الاغتسال منه، وذلك لاحتواهه الجراثيم المسيبة للأمراض كالكولييرا، كما أشار الحديث إلى النهي عن التغوط في طرق الناس حتى لا يتسبب لهم الأذى، وكذلك التغوط في أماكن الظل وفي هذا بالإضافة إلى حرمـانـ الناسـ منـ الجـلوـسـ فيـ أـمـكـنـةـ اـعـتـداـنـاـ أـنـ يـسـتـرـيـحـواـ فـيـهاـ،ـ إـشـارـةـ مـهـمـةـ إـلـىـ النـاحـيـةـ الصـحـيـةـ،ـ لـأـنـ أـمـكـنـةـ الـظلـ لـاـ تـعـرـضـ إـلـىـ أـشـعـةـ الشـمـسـ الـقـوـيـةـ بـمـاـ فـيـهاـ مـنـ خـصـائـصـ قـاتـلـةـ لـلـجـرـاثـيمـ،ـ وـإـنـ الـظلـ يـحـافـظـ عـلـىـ الرـطـوبـةـ الـلـازـمـةـ لـحـيـةـ يـرـقـاتـ الـدـيدـانـ وـمـنـهـ الـدـوـدـةـ الـشـرـيطـيةـ.

إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الملائكة عن التلوث، ومنها التبرز في الماء، والنهي للتحرر، كما أن اللعن لا يكون إلا على فعل محرم، ومن هنا يجب بعد عن التبول والتبرز في الماء، حيث لا يؤدي ذلك إلى تلوث المياه بالطفيليات والروائح الكريهة فحسب، بل يتسبب ذلك في استهلاك الأوكسجين الذائب في المياه مما يؤثر في حياة الكائنات التي تعيش فيه.

لما كان التلوث المائي يتسبب في الأمراض للإنسان، وفي حالات كثيرة في إزهاق الأرواح وفي قتل الأحياء، فإن درء هذا التلوث واجب وفقاً للقواعد الفقهية" ما أدى إلى حرام فهو "حرام"، "درء المفاسد مقدم على جلب المصالح". وكذلك لا ضرار ولا ضرار". (الخطيب، 2002، 44-48).

ثانياً: تلوث الهواء:

يعرف تلوث الهواء بأنه " إدخال مباشر أو غير مباشر لأية مادة في الغلاف الجوي بالكمية التي تؤثر على نوعية الغلاف الجوي الخارجي وتركيبته، بحيث ينجم عن ذلك آثار ضارة على الإنسان والبيئة والأنظمة البيئية والموارد الطبيعية، وعلى إمكان الانتفاع من البيئة بوجه عام ". (شحاته، 2002، 64).

إن حماية الهواء من الملوثات في المنهج الإسلامي يُعد فرض عين على كل مسلم ومسلمة؛ لما فيه من المحافظة على مقاصد

ثالثاً: تلوث الأرض:

يقصد بتلوث الأرض " الفساد الذي يصيب الأرض فيغير من خواصها الطبيعية، أو الكيميائية، أو الحيوية، أو يغير من تركيبها بشكل يجعلها تؤثر سلباً بشكل مباشر أو غير مباشر على من يعيش فوق سطحها من إنسان وحيوان ونبات ". (شحاته، 2002، 115).

ولقد تضافرت النصوص التي تنهى عن تلوث الأرض والإفساد فيها، حيث إنها موطن الإنسان وغيره من الكائنات الحية، ومن ذلك: قوله تعالى: (مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَانَ مَنْ قَتَلَ النَّاسَ جُمِيعًا وَمَنْ أَخْيَاهَا فَكَانَ أَخْيَا النَّاسَ جَمِيعًا). (المائدة، من الآية 34).

كما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التسبب في وقوع الضرر وإلحاقه بالآخرين، فقال صلى الله عليه وسلم " لا ضرار ولا ضرار ". (ابن ماجة، ج 3 ، 2009، 432). ولا شك أن تلوث التربة ضرر يتحقق بالبيئة الزراعية، وينتقل أثره إلى كل الكائنات الحية التي تعتمد في غذائها على النبات بما في ذلك الإنسان نفسه.

تحض السنة النبوية علي التعامل مع البيئة بصورة نظيفة وتنمنع من إلقاء الفضلات أو الأذى الذي يؤثر في نظافتها ونقائها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أَنْفَوْا الْعَانِينَ " قالوا: وما اللعاني؟ يا رسول الله قال: " الْذِي يَتَحَلَّ فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظَلَمِهِمْ ". (النيسابوري، 2010، 103).

وكما نهى صلى الله عليه وسلم عن تلوث مصادر المياه أو قضاء الحاجة في طريق المارة، شدد على من يقطع أو يحارب الخضراء، فعن عبد الله بن حبشي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ ". وسئل أبو داود عن معنى الحديث فقال هذا الحديث مختصر، يعني: من قطع سدراً في فلقة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثاً وظلماً بغير حق يكون له فيها صوب الله رأسه في النار". (ابن الأشعري، 2010، 869).

ذلك حض صلى الله عليه وسلم على تشجيع الثروة النباتية بما يؤدي إليه ذلك من إصلاح في البيئة وحياة الكائنات، فقد روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ زَرْعاً فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ ". (البخاري، 2010، 418).

وقال صلى الله عليه وسلم: " مَنْ أَخْيَا أَرْضاً مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ ". (الترمذى، ج 3، 1975، 655).

وقد حثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على زراعة الأرض وتشجيرها، فقال: " إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَيَدُكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعُوا أَنْ لَا يَقُولُوا حَتَّى يَعْرِسُوهَا فَلْيَفْعُلُوا ". (ابن حنبل، ج 20، 2001، 296).

أما فيما يخص الأضرار التي تنتج من مصادر مستجدة، فيفيد القاضي ابن عبد الرفيع (المتوفى 733هـ) بضرورة إيقافها أو على الأقل درء ضررها سواء أكان قد يمأداً أم حديثاً لأن الضرر لا يمكن تبريره لقدمه أو لاستمراره، كما كان المحاسب يمنع الصبابغين من وضع أفرانهم في الشوارع لما تبعه من أذنة تصايق المارة والسكان ". (أبو العلا، 2009). والمتأمل لهذه الحالات التي ذكرت يتضح له مدى الوعي البيئي عند فقهاء المسلمين، ومدى حرصهم على حماية سكان المدن من أضرار التلوث بالدخان.

وجدير بالذكر أن أول حكم صدر لدفع أدى الدخان عن الناس في الإسلام كان في عهد سيدنا عمر بن الخطاب حين أمر بهم كير الحداد الذي مرباه في الطريق. (السامرائي، 2005، 245).

2- موقف الفقهاء من تلوث الهواء بالروائح الكريهة :

اهتم فقهاء المسلمين بحماية البيئة من التلوث بالروائح الكريهة، ومن ذلك ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " مَنْ أَكَلَ ثُوماً أَوْ بَصَلَأَ فَلْيَعْتَزِلْ، أَوْ لِيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا ". (البخاري، 2010، 1022).

فإذا كان على آكل الثوم أو البصل أن يبتعد عن المسجد كي لا يضايق إخوانه من المسلمين برائحة فمه، فإنه يكون من الأولى عدم السماح للروائح الكريهة من الانشار في أجواء المدن وبين سكانها، كالروائح الناتجة عن حرق البلاستيك والأقمصة والروائح الناجمة عن العرق، ومن ذلك روائح البول وتحلل مياه المجاري وفساد الأطعمة، وروائح بعض الغازات والأبخرة مثل ثاني أكسيد الكبريت، كبريتيد الهيدروجين، والمنتجات البترولية.

وتحفل كتب الفقه الإسلامي بأمثلة كثيرة تدل على عناية فقهاء المسلمين بحماية الهواء من التلوث بالروائح الكريهة، فقد سئل مطرف وابن الماجشون، وأصبح - رحمة الله - وهم من علماء المالكية، عن حكم شخص أقام مدبغة في بيته تتبعث منها الروائح الكريهة، فتؤدي جيرانه وتسب لهم الضرر، فأجمع كل من الفقهاء الثلاثة على حق جيرانه في إيقافه، وحكموا بإغلاق مدبغته، ويساوياً في هذا الحكم حفر مرحاض أو مصرف غير مغطى، وكل ما ينبعث منه روائح كريهة، فقد أفاد ابن عتاب، وابن عبد الغفور بضرورة وقف هذه الأنشطة أو تعطيتها لمنع رائحتها التي تزكم الأنوف من مضائق الجيران، وكانت توكل إلى المحاسب مهمة مراقبة تلوث بيئة المدينة والأسواق من التلوث بالروائح، كما كان عليه أن يمنع كل من تسول له نفسه أن يطرح النفايات والجيف في الأسواق والطرقات، ويمنع الخصارين وغيرهم من طرح أزبالهم في الطرق، حتى لا تنتج عنها روائح كريهة، وحتى لا تكون مرتعاً للحشرات ومصدراً من مصادر التلوث. (أبو العلا، 2009).

يدل الحديث على كراهة رفع الصوت عموماً واستقباح فعله، لما في ذلك من ذهاب بالسكون والهدوء وإضرار بحاسة السمع.

ج- قال تعالى (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِثْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا). (الإسراء، من الآية 109).

وهذا توجيه وإن كان يخص الصلاة إلا أن مبتغاه وعاته يجعله ينصرف إلى كل أحوال الكلام والحديث الذي يجب أن يكون بقدر واعتدال بين الجهر والخفت.

روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: اعتكف رسول الله صلى الله عليه في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف السرّ وقال: "ألا إن كُلَّمَنْاجِ رَبِّهِ، فَلَا يُؤْذِنَ بِعَضُّكُمْ بِعَصْمًا وَلَا يَرْفَعَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْقِرَاءَةِ" أو قال: "في الصلاة". (ابن الأشعث، 2010، 225). خاتمة.

ما سبق يتضح لنا أن الشريعة الإسلامية قد اهتمت بصحة المجتمع ووقايتها من الأمراض وسعت إلى إصلاح البيئة، واعتبرت المحافظة على صحة البدن وحمايته من الأمراض، والمحافظة على سلامة البيئة، من الواجبات الدينية التي يثاب المسلم عليها في حالة التزامه بالتوجيهات الإلهية والنبوية في ذلك، ويعاقب في حالة تقصيره في الالتزام بهذه التوجيهات، ولا شك أن ربط ذلك بالعقيدة الإسلامية أدعى للالتزام بها للمؤمن الصادق أكثر من الالتزام بالقوانين الوضعية.

الوصيات والمقررات:

من خلال العرض السابق يمكن تقديم التوصيات والمقررات التالية:

١. تضمين محتوى مناهج التعليم منهجية الإسلام في المحافظة على صحة المجتمع ووقايته من الأمراض، وحماية البيئة.

والفسيلة هي النخلة الصغيرة، وهذا ما يعني أن غرس الأشجار وزرع النبات أمر مطلوب دينياً من المسلم حتى في آخر رقم من حياته، وحتى إذا تهده خطر الموت وتتأكد حلول الوفاة له وللأرض، وذلك لأن غرس الأشجار هو من أعمال الخير التي يلزم أن يأتيه الإنسان لتكون في ميزان حسناته. كذلك الأمر في إماتة الأدى عن الطريق ولو برفع حجر فله أجر في الحديث الصحيح: "وَكُلُّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ وَيُمْنِطُ الْأَدَى عَنِ الظَّرِيقِ صَدَقَةٌ". (البخاري، 2010، 548)

رابعاً: التلوث الضوضائي أو الصوتي:

١ - آيات الله في السكينة والهدوء:

من آيات الله الكونية اختلاف الليل والنهار وجعلهما متعاقبين يخلف أحدهما الآخر، وقد جعل الله الليل للنوم والخلود والراحة والسكون، والنهار للسعى وطلب الرزق يقول تعالى: (وَجَعَلْنَا نَوْمًا سُبَاتًاٌ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًاٌ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًاً) (النَّا, الآيات 9,10,11)

وقد حضرت السنة المشرفة على التزام السكينة والهدوء في كل شيء حتى في العبادة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا أقيمت الصلاة فلا تأثروا وأنتم سُبُّونَ، وَأَنْتُمْ هَا تَمْشُونَ، وَعَلَيْكُم السَّكِينَةَ فَمَا أَدْرِكْتُمْ فَصَلَّوَا وَمَا فَاتَكُمْ فَلَأَتَمُوا". (النيسابوري، 2010، 195).

وعن ابن عباس رضي الله عنهم أنه دفع مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة فسمع النبي صلى الله عليه وسلم ورائة رجراً شديداً وضرباً ليلياً، فأشار سوطه إليه، وقال "أليها الناس عليكم بالسكنية فإن البر ليس بالإيساع". (البخاري، 306، 2010).

زجرا أي صياغا لحث الإبل على السير. (بسوطه) قضيه.
(البر) الخير. (بالإيقاع) هو حمل الدابة على إسراعها في السير.

فإذا كان الخالق العظيم قد هيا الليل للسكون والهدوء لتسعبد الكائنات الحية وعلى رأسها الإنسان، نشاطها وحيويتها، وتستمر في عطائهما وتعمر الكون كما أراد الله، فهل حافظ الإنسان على تلك السكونة وذلك الهدوء؟ لا، بل إنه أتى من السلوك والأفعال ما يكسر صفاء ذلك السكون والهدوء، من خلال استخدام الآلات التي تتبعث عنها الأصوات العالية التي قلبت الليل إلى نهار فاختل نظام حياة الناس، وانعكس ذلك على أوضاعهم الصحية، وأضحت نعمة السكون والهدوء في خطر بسبب تزايد معدلات الصوت والضجيج والضوضاء العالية، وهو خطر لا يهدد فقط بزوالها وإصابة الشخص بالصمم، بل كذلك بالتأثير في الجوانب الصحية الأخرى، العصبية، القلبية (أداء العلاج، 2009).

٢- النعم، عن: فرع الصوت و احداث الضوء ضماع:

14. حسين السعدي. حسين. (2008). علم البيئة. عمان: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع.
15. الخطيب. هشام. (2002). الإسلام والبيئة. عمان: دار قديل للنشر والتوزيع.
16. السامرائي. مهدي. (2005). الحفاظ على البيئة في العصور العربية الإسلامية تشریعا وتطبيقا. عمان: دار جرير للنشر والتوزيع.
17. سعادة، جودت. وإبراهيم. عبد الله. (2004). المنهج المدرسي المعاصر. عمان: دار الفكر.
18. سليمان بن أحمد ابن أيوب الطبراني. سليمان بن أحمد. (1983). المعجم الكبير. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. عدد الأجزاء: 20. الموصل: مكتبة العلوم والحكم.
19. شحاته. حسن. (2002). تلوث البيئة. مدينة نصر: مكتبة الدار العربية للكتاب.
20. شعبان. زكي الدين. (1979). أصول الفقه الإسلامي. بنغازى: منشورات جامعة قار بونس. كلية القانون.
21. العسقلاني. أحمد. (1995). التلخيص الحبير في تخرج أحاديث الرافعي الكبير، تحقيق أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب. القاهرة: مؤسسة قرطبة.
22. عمر التومي الشيباني، عمر. (1985). فلسفة التربية الإسلامية. (ط5). طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان.
23. ماردينى. عبد الرحيم. (2007). موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية الشريفة. دمشق: دار المحبة.
24. محمد بن أبي بكر الرازي، محمد. (1976). مختار الصحاح. الهيئة المصرية للكتاب.
25. المفتاح. منصور. (2009). البيئة والمحافظة عليها من منظور إسلامي، بحث مقدم لمجمع الفقه الإسلامي، الدورة التاسعة عشرة، إمارة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، من 26-30 إبريل، 2009.
26. المليجي. إبراهيم. (2002). الرعاية الطبية والتأهيلية من منظور الخدمة الاجتماعية. القاهرة: المكتب الجامعي الحديث.
27. نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي. نور الدين. (1992). ، مجمع الزوائد وطبع الفوائد، بيروت: دار الفكر.
28. النسابوري. محمد بن عبد الله. (1990). صحيح مسلم. القاهرة: دار الفجر للتراث.
2. عقد الندوات والمؤتمرات التي تهتم بابراز دور الإسلام في المحافظة على صحة المجتمع، ووقايته من الأمراض.
3. إجراء بحوث أخرى تتناول منهج الإسلام في تحقيق الصحة النفسية لأفراد المجتمع.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم، رواية قالون.

1. ابن الأشعث. سليمان. (2010). سنن أبي داود. القاهرة: دار الفجر للتراث.

2. ابن الملقن. سراج الدين. (2004). البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعية في الشرح الكبير. تحقيق: مصطفى أبو الغيط، عبد الله بن سليمان، وياسر كمال. الرياض: دار الهجرة للنشر والتوزيع.

3. ابن حنبل. أحمد. (2001). مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط. عادل مرشد، وأخرون. مؤسسة الرسالة.

4. ابن ماجة، محمد بن يزيد. (2009). سنن ابن ماجة. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. عادل مرشد. محمد كامل قره بالي- عبد الطيف حرز الله. دار الرسالة العالمية.

5. أبو العلا. عبد القاهر. (2009). البيئة والحافظ عليها من منظور إسلامي. بحث مقدم لمجمع الفقه الإسلامي، الدورة التاسعة عشرة، إمارة الشارقة، إمارة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، من 26-30 إبريل، 2009.

6. أبو قدنس. بشير أحمد. (2005). حقوق الطفل في الشريعة الإسلامية، منشورات المكتب الوطني للبحث والتطوير.

7. أبو بخي. محمد. وأخرون. 200. الثقافة الإسلامية- ثقافة المسلم وتحديات العصر. دار المناهج للنشر والتوزيع.

8. أحمد شوقي إبراهيم. أحمد شوقي. (2002). المحرمات وصحة الإنسان والطب الوقائي. القاهرة: دار الفكر العربي.

9. أحمد. المبروك. (1992). تربية الأولاد والأباء في الإسلام. بيروت: دار قتبة للنشر والتوزيع.

10. أسعد.أمان محمد. (2008). الثقافة الصحية. القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع.

11. الأصبهاني، أبو نعيم. (2006). الطب النبوي. تحقيق: مصطفى خضر التركى، عدد الأجزاء: 2، دار ابن حزم، 2006.

12. البخاري. محمد بن إسماعيل. (2001). صحيح البخاري. بيروت: دار الكتب العلمية.

13. الترمذى. محمد بن عيسى. (1975). سنن الترمذى. تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج 3)، وإبراهيم عطوة عوض (ج 4، 5). القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى.